ابن عبد الصمد الأندلسي شاعر المعتمد بن عبّاد

(حياته وما تبقى من شعره)

إعداد

د/ محمد عبد الله عباس الشال

دكتوراه في الأدب العربي كلية الآداب – جامعة بنها

المستخلص:

بعد الانتهاء من جمع شعر أبي بحر يوسف بن عبد الصمد الأندلسي ودراسة حياته وشعره ومرثيته في المعتمد بن عباد، نرى أن التاريخ لم ينصف الشاعر؛ وذلك نظرا لقلة شعره كما هو الحال عند المُقلين من شعراء الأندلس، فلم نجد أحدا من الباحثين – على حد علمي – قام بجمع شعره أو دراسته.

برع ابن عبد الصمد في المدح وأجاد في هذا الميدان، كما برع وتفوق في الرثاء، وتناول موضوعات الخمر ووصف الساقي ومجالس اللهو، والفخر، ووصف الطبيعة.

ومن خلال الدراسة النقدية لشعر ابن عبد الصمد لاحظنا التالي: برع في معارضة المعري في قصيدته الدالية، وإن اختلفتا في الموضوع، لكن ابن عبد الصمد أجاد في قصيدته واستخدم لغته المدحية استخداما جيدا. كما اهتم بالصورة الشعرية اهتماما كبير في معظم قصائده، وإن كانت هناك صورا تقليدية فيها، إلا أنها جاءت معبرة عما يجيش في نفسه، وقد لجأ إليها في بعض الأحيان لبث الشكوى والهروب من الواقع.

كما استخدم الأوزان القليلة في شعره نظرا لقلة عدد النصوص التي جمعناها، مما أدى إلى قلة تنوع القافية مقارنة بشعراء عصره.

إن الإحالة النصية داخل النص في "قصيدة ملك الملوك " لها أهمية كبيرة في إبراز الاتساق للنص الشعري، فتعتمد على إثارة ذهن القارئ، مع عدم تجنب التكرار، والاستمرارية، مع الترابط الذي تحدثه العناصر المحلية بين الجمل، وبخاصة الضمائر داخل النص الشعري.

الكلمات المفتاحية: ابن عبد الصمد الأندلسي ، شاعر المعتمد بن عبّاد ، حياته ، وما تبقى من شعره.

Abstract:
After completing the collection of the poetry of Abu Bahr Yusuf ibn Abd al-Samad al-Andalusi and studying his life, poetry, and elegy for al-Mu'tamid ibn Abbad, we see that history has not done justice to the poet. This is due to the paucity of his poetry, as is the case with the few poets of Andalusia. We have not found any researcher - to the best of my knowledge - who has collected or studied his poetry.
Ibn Abd al-Samad excelled in praise and was proficient in this field. He also excelled and excelled in elegy, and dealt with topics such as wine, descriptions of cupbearers, entertainment gatherings, pride, and descriptions of nature.
Through a critical study of Ibn Abd al-Samad's poetry, we have observed the following: He excelled in opposing al-Ma'arri in his Daliya poem, although they differed in subject matter. However, Ibn Abd al-Samad excelled in his poem and made good use of his eulogistic language. He also paid great attention to poetic imagery in most of his poems, and although there were traditional images in them, they came to express what was simmering inside him, and he resorted to them at times to express his complaint and escape from reality. He also used few meters in his poetry due to the small number of texts we collected, which led to a lack of variety in rhyme compared to the poets of his time.
The intertextual reference within the text in "The King of Kings" is of great importance in highlighting the coherence of the poetic text. It relies on stimulating the reader's mind while not avoiding repetition and continuity, with the coherence created by local elements between sentences, especially the pronouns within the poetic text.
Keywords: Ibn Abd al-Samad al-Andalusi , the poet of al-Mu'tamid ibn Abbad , his life - and the remainder of his poetry.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بعد حمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وسلم:

فإن هذا البحث يتناول شاعرا من الشعراء المُقلّين على عهد المعتمد بن عبّاد الأندلسي، وهو من جملة شعرائه، واسمه: أبو بحر يوسف بن عبد الصمد الأندلسي (من شعراء القرن الخامس الهجري بالأندلس).

جاء هذا البحث رغبة منا في جمع التراث الشعري الأندلسي، وإبرازا لشاعر الرثاء المشهور للمعتمد بن عباد في أغمات في شهر ذي الحجّة من سنة ٤٨٨ هـ، وهي قصيدة طويلة عدد أبياتها: ١٠٥ بيتا، من جملة عدد قليل من شعره نجمعه هنا، ونقوم بتقديم تعريف لهذا الشاعر وعلاقته بالمعتمد وشعراء عصره.

منهجنا في هذا البحث، هو المنهج الاستقصائي المتكامل، من جمع النصوص الشعرية لأبي بحر يوسف بن عبد الصمد، مع ترتيبها ترتيبا هجائيا (ألف باء) حسب القافية، وتوثيق شعره من مظان الكتب والمصادر المختلفة. مع دراسة حياته وشعره دراسة نقدية.

أما عن موضوعات الدراسة فجاءت في: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

تناولنا في المقدمة أهمية البحث، ومنهجنا في دراسته، وموضوعات الدراسة.

وتحدثنا في المبحث الأول: عن حياة ابن عبد الصمد ونشأته، وعلاقته بالمعتمد والشعراء في عصره.

وتحدثنا في المبحث الثاني عن شعر ابن عبد الصمد؛ وفيه:

أولا: موضوعات شعر ابن عبد الصمد، ثانيا: شعر ابن عبد الصمد في الميزان النقدي.

وفي المبحث الثالث تناولت: مجموع شعر ابن عبد الصمد، على ترتيب حروف الهجاء، مع تخريج النصوص من مصادرها المختلفة، وذكر الروايات المختلفة، وبيان البحور الشعرية.

ثم جاءت الخاتمة وأهم النتائج في نهاية البحث، وثبت بالمصادر والمراجع.

والله أسألُ التوفيق والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول: حياة ابن عبد الصمد:

هو **يوسف بن أبي القاسم خلف بن أحمد بن عبد الصمد**، الخولاني، ولُقّب بأبي بحر[١]، وأبي بكر[٢]، وأبي يحيى[٣].

وكان **جدهم الأول السمح بن مالك بن خولان**، أحد أمراء الأندلس في ذلك الأوان، قبل دخول بني مروان، من تقديم عمر بن عبد العزيز. وهؤلاء الصمديون قوم من ذوي الهيئات، متقدمون في الكتابة وأدوات أهل النباهات، وأصلهم فيما أخبرت من إقليم الشبتان من كورة جيان، **وخدم أبو القاسم والد أبي بحر الخزانة في المرية** زمان زهير وخيران وفي دولة المنصور بعدهما، وماتَ في دولة ابن صمادح سنة ثمان وأربعين، وبنوه وقرابته أكثر خدمة المرية[٤].

أما عن **مولد يوسف بن عبد الصمد ووفاته**، فلم تشر المصادر إلى سنة مولده ولا حتى سنة وفاته سوى أنه كان على قيد الحياة بعد وفاة المعتمد بن عباد في نهاية القرن الخامس الهجري سنة ٤٨٨هـ، وإذا تتبعنا أخباره منذ اتصاله بالمعتمد بن عباد (الذي تولّى الحكم سنة ٤٦١ هـ إلى أن توفى بأغمات في ١١ شوال سنة ٤٨٨ هـ) وهذه الفترة ربما يكون سن ابن عبد الصمد في العشرين أو الثلاثين من عُمره، وكانت وفاة **خلف** والد **أبي بحر** في سنة ٤٤٨ هـ؛ أي أن ابنه **أبو بحر يوسف** ولد قبل وفاة والده بأعوام.

ثم تتوالى الأحداث وينتقل **يوسف بن عبد الصمد** إلى قبر **المعتمد بن عباد** بأغمات في العاشر من ذي الحجة أو بعده بأيام، من نفس العام؛ ليرثي **المعتمد** بقصيدة طويلة مشهورة سنذكرها فيما بعد، وتتوالى أخبار **ابن عبد الصمد** حيث يتصل – أيام المعتمد – **بأبي بكر بن أبي الوليد ابن الشاعر المعروف بابن زيدون** الذي تولّى الوزارة في بلاط المعتمد بعد وفاة والده سنة ٤٦٣ هـ، والمتتبع لشعر **يوسف** يجد أنه يمتدح **يحيى ابن فنّو**[٥] بسِجِلْمَاسة[٦] من بلاد المغرب، ونظن أنه اتصل بيحيى بن فنّو بعد وفاة المعتمد وزيارة قبره، ومن خلال تتبعنا **ليحيى ابن فنّو**، وجدنا أن **فنو** هذه هي أخت **علي بن يوسف بن تاشفين**،

---

(١) (أبو بحر) هذا اللقب الذي يغلب عليه في كثير من المصادر التي ذكرته، يراجع: معجم السفر للسلفي (ت/ ٥٧٦) (ترجمة: ١٢٥٣، ١٢٥٤)، والذخيرة لابن بسام ٥٧/١/٢، ٨٠٩/٢/٣، والمغرب في حلى المغرب ٢٠٣/٢، والوافي بالوفيات للصفدي (ت/ ٧٦٤هـ)، ١٥٥/٣، ونفح الطيب ٥٣٤/٣، ٢٢٣/٤، ٢٥٩، ومسالك الأبصار ٣٣٦/١٧، وشذرات الذهب لابن العماد ٣٣٨/٥، ومن المراجع الحديثة: تاريخ الفكر الأندلسي، ص: ١٠٥، والخطط الجديدة لمصر القاهرة لعلي باشا مبارك، ٤٤/١٣، ودولة الإسلام في الأندلس لعنان، ص: ٣٦٢.

(٢) انفرد بهذا اللقب ابن خاقان في كتابه "قلائد العقيان" ١٠٦/١. ومن المراجع الحديثة: مختارات من الشعر لنيكل، ص: ١٠٣، ومجاني الأدب في حدائق العرب للأب لويس شيخو ٢٤٥/٥، وتاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) لإحسان عباس، ص: ١٥٣، والموسوعة العربية العالمية للشعر، ص١٧٤.

(٣) انفرد بهذا اللقب العماد الأصفهاني في كتابه وذلك عن طريق ابن بشرون عثمان بن عبد الرَّحيم الصِنْقِلِيُّ، توفي بعد سنة ٥٦١هـ، يراجع: خريدة القصر (قسم شعراء المغرب والأندلس) ٥٣٧/٣.

(٤) الذخيرة ٨٠٩/٢/٣.

(٥) كان أخوه علي بن أبي بكر المعروف -أيضا- ابن فنّو أميرا. يراجع إشارة إليها في كتاب: الحلة السيراء ٢١٢/٢. وورد الاسم في كتاب الذخيرة (يحيى بن فانو) ولكن ما جاء من ضبط الكلمة في الحلة السيراء هو الصحيح "فنو"؛ لأن "فانو، بألف ونون – قام بتصويبها الدكتور إحسان عباس في هامش كتاب الذخيرة (٨١٦/٢/٣) وقد ذكر أن الاسم الصحيح لابنة يوسف بن تاشفين هو "فانو" كما وردت في كتاب البيذق (أخبار المهدي بن تومرت، ص: ٦٤)" – هي "فانو بنت عمر بن ييننتان (توفيت بمراكش سنة ٥٤١هـ، وكانت بكرًا عذراء)" وفانو هذه وكانت تظهر أمام الموحدين محاربة في هيئة رجل حيث كانت تدافع عن القصر بمراكش ضد الموحدين حتى أوقعوها قتيلة، فهي ليست ابنة يوسف بن تاشفين التي نتحدث عنها. ويراجع الخبر نفسه في كتاب البيان المغرب ١٠٧/٣ وذكر اسمها (فانو بنت عمر بن ينتان).

(٦) سِجلماسة مدينة بالمغرب تبعد عن مدينة أغمات مسيرة تقريبا (١٤) يوما. يراجع: المسالك والممالك للبكري ٣٣٢/٢-٣٣٨.

ولم نصل – فيما بين أيدينا من مصادر- إلى حياة **يحيى** هذا ولا سنة وفاته، سوى أن والده هو **أبو بكر يحيى بن أبي يحيى ابن تاشفين** وهو ابن عم **فنّو بنت يوسف بن تاشفين**[١].

فنظن أن مولده قبل تولي **المعتمد بن عباد** بسنوات قليلة، وكانت وفاته في نهاية القرن الخامس الهجري؛ لانقطاع الأخبار عنه، خاصة بعد اتصاله **بيحيى بن فنّو**، وقد مدحه بقصيدة طويلة، أولها:

عـــزمٌ تضـــيق بجيشـــهِ البيـــداءُ ومُنَـــى أقـــلُّ مرامِهـــا الجـــوزاءُ

وعرامـــة لـــو أنّهـــا لـــي لأمَـــة لـــم تَمْـــضِ فيهـــا الصَّـــعْدَةَ السَّـــمْرَاءُ

فـــي عِفّـــةٍ لـــو أصـــبحتْ مقســـومة فـــي النـــاس لـــم تتقنّـــع الحَســـناء

وعن أسرته، لم تذكر المصادر أي شيء عنها، وهناك إشارة لعائلة عبد الصمد ذكرها ابن بسام وقال: "إن أبناء **عبد الصمد** عددهم كثير، إذ يقول بعض أهل عصرهم[٢]: [الرمل]

مـــلأوا قلبـــي هُمومًـــا مثلمـــا مـــلأ الأرضَ بنـــو عبـــد الصـــمدْ

كـــاثَرَ الشّـــيخُ أبـــوهم آدمًـــا فغـــدَوْا أكثـــرَ أهـــل الأرض عـــد

كلّهـــم ذئـــبٌ أزلّ متنـــه والرعايـــا بيـــنهم مثـــلُ النّقَـــد"

أما عن **نشأة يوسف بن عبد الصمد** فيقول ابن بسام: "إنه نشأ منهم، بحر نُبل كاسمه، في نثره ونظمه، حَسَنُ الحديث حاضرُ النادر، ذو رويّة وبديهة"[٣]. ويقول ابن سعيد: "وقد أثنى عليه صاحب السمط والمسهب... ونشأ أبو البحر[٤] كاسمه، في نثره ونظمه"[٥]، ويقول عنه ابن فضل الله العمري: "فارعُ أدبٍ حلّ في عليائه، وسبق والنجم مُلقًى لإعيائهْ، خاض الدّجى، وفاض السحاب بقول النجا. توقَّل الذرى والمجد حشو بُرْدَتِه، والأسد ضميم لِبْدَتِه، والمَشْرَفِيُّ في نجاد يده، والسمهري ثعلبه من طرائد صيده"[٦].

---

(١) يراجع الحلة السيراء ٢١٢/٢ (الهامش). في حين يذكر لسان الدين في الإحاطة "أن الأمير أبو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيى المسوفي الصحراوي المتوفي سنة ٥١٠هـ، هو صهر علي بن يوسف بن تاشفين، زوج أخته، وأبو ولده منها يحيى، المشهور بالكرم". الإحاطة ٢١٨/١، وفي تعليق الدكتور حسين مؤنس بهامش ٢١٢/١ من كتاب الحلة السيراء يقول: "ويُظن أن غانيّة التي تزوجت **على بن يوسف المسوفي**، والد يحيى بن غانية الذي ذكرناه، كانت ابنة يوسف بن تاشفين، ولكن في الغالب أنها كانت من بيت يوسف بن تاشفين فحسب". وربما هناك تضارب في الكلام، ولكن نرجح أن ابن عمها هو الذي تزوج منها.

(٢) الذخيرة ٨١٠/٢/٣، ونفح الطيب ٥٣٥/٣.

(٣) الذخيرة ٨١٠/٢/٣.

(٤) نقلها ابن سعيد عن الذخيرة، ولكن لم يرد في الذخير كلمة بحر معرفة بـ (ال).

(٥) المغرب ٢٠٣/٢.

(٦) مسالك الأبصار ٣٣٦/١٤.

إذا؛ نشأ **يوسف بن عبد الصمد** في بيت من أصول عريقة في الأندلس، وهو بيتُ الصمديين، وهم متقدمون في الكتابة، فلا ريب أن يكون **يوسف بن عبد الصمد** أحد هؤلاء الكتاب والشعراء.

وحتى لا يختلط علينا اسم آخر كان من سلف **يوسف بن عبد الصمد** بسرقسطة **شيخ يُكنّى بأبي عبد الصمد السرقسطي**، وكان شاعرا في عصره، وقد نسب إليه ابن بسام بيتا من قول شاعرنا **يوسف** فقال[١]: "وقال ابن عبد الصمد السرقسطي:

ذلّ في ذا الزّمانِ نظمي ونثري ذِلّةَ السيفِ في يمين الجبانِ".

وهذا البيت – مع اختلاف في ترتيب كلمتي (نظمي ونثري) – هو من قصيدة **ليوسف بن عبد الصمد**، والتي مطلعها:

أدلجوا بالشموسِ في الأغصانِ وَمَشَوا بالحدوج في الكثبانِ

شهرته واتصالاته وتنقلاته:

اشتهر **يوسف بن عبد الصمد** في بلاط **المعتمد بن عباد** ملك إشبيلية في عصر ملوك الطوائف (والذي تولى الخلافة في الفترة من ٤٦١ هـ إلى ٤٨٨ هـ)، حيث كان شاعره المتصل والمختص به[٢]. وأثناء تواجده في بلاط الخليفة لم يسلم من كيد الحاقدين والحاسدين من الشعراء في عصره، وهذه المكائد ذكرها ابن عبد الصمد في شعره في قصيدة مدح فيها **المعتمد بن عباد** وهو حِيْنئذٍ في بلاطه، وأثناء إلقائه القصيدة حضر المجلسَ **أبو بكر بن اللبانة، وأبو تمام الحجام**، فقال مُعرضا بهما[٣]:

والشـــعرُ بهجتـــه إذا نطقـــتْ بـــه بـــين المحافـــلِ ألســـنُ الأعيـــانِ

مـــا كـــان قـــولُ الشّـــعرِ إلا خطـــة كانـــت مراتبهـــا علـــى كيـــوان

حتـــى تـــدنّس ثوبهـــا بزعـــانف نشـــأتْ علـــى الأوضـــار والأدران

مـــن صـــنعةِ القـــزاز والجـــزار أو مـــن صـــنعةِ الحجـــامِ واللبـــان

فيذكر أن الشعر في المحافل العامة له بهجته وله ألسن تستطيع قوله، بل إن الشعر له مراتب تعلو حتى تصل إلى أعلى درجة من سمع **المعتمد بن عباد** الأديب الشاعر وقلبه، فما أن جاء هؤلاء الشعراء إلا أن

(١) الذخيرة ٤٩٣/١/٢.
(٢) ينظر: قلائد العقيان ١٠٦/١-١٠٧، وشذرات الذهب ٣٨٨/٥.
(٣) الذخيرة ٨١٤/٢/٣.

تدنّسَ الشعرُ بقولهم وصنعتهم، ويقصد أربعة من شعراء عصره، وهم: أبو عبد الله محمد بن عُبادة المعروف **بابن القَزَّاز**[١]، وأبو بكر يحيى بن محمد **بن الجَزّار السرقسطي**[٢]، وأبو تمّام غالب **الحجَّام**[٣]، وأبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف **بابن اللبانة**[٤]. وبالرغم من هذا البيت العارض وهجائه إياهم لم نجد في أشعار هؤلاء الشعراء ردا على ما قاله **ابن عبد الصمد**.

كما **اتصل أبو بحر بن عبد الصمد** بأبي **عمران موسى بن محمد بن خطاب الكندي** السبتي بسبتة، وأنشده لنفسه من قصيدة طويلة طائلة، ذكر منها **أبو عمران** خمسة أبيات، منها قوله[٥]:

لـــــئِنْ مَطَلْتَنِـــــي اللّيـــــالِي بَوعـــــدٍ فكـــــمْ أمْسَـــــكَ الغَيـــــثَ ثُـــــمَّ انهَمـــــلْ

وإنْ نِلـــــتُ مـــــن بَعْـــــدِ لأيٍ مُـــــرادًا فمـــــا أحسَـــــنَ الحَلْـــــيَ بَعـــــدَ العَطَـــــلْ

وذكر السلفي في معجمه أن **أبا عمران الكندي** روى مقطعات كثيرة **لأبي بحر بن عبد الصمد** وعدد من الشعراء، ولكن لم يذكر منها سوى المقطوعة السابقة المكونة من خمسة أبيات وهي مكتملة في المبحث الثالث في مجموع شعره.

وصفه **ابن فضل الله العُمري** فقال: كان "فراعُ أدبٍ حلّ في عليائه، وسبق والنجوم مُلقى لإعيائه، خاض الدّجى، وفاض السحائب بقول النجا، توقَّل الذرى والمجد حشو بُرْدَتِه، والأسد ضميم لِبْدَته، والمشرَفِيُّ في نجاد يده، والسّمهري ثعلبه من طرائد صيده"[٦].

وبالرغم من أن **ابن عبد الصمد** من بيت له تاريخ عريق إلا أنه كان يتكسب من شعره، فنراه يقول:

فوصـــــلتُ أقطـــــارًا لغيـــــر محبّـــــةٍ ومـــــدحتُ أقوامًـــــا بغيـــــر صِـــــلاتِ

أمـــــوالُ أشـــــعارِي نمـــــتْ فتكـــــاثرتْ فجَعلـــــتُ مـــــدحي للبخيـــــلِ زكـــــاتي

---

(١) يراجع أخباره في: الذخيرة ٢٩٩/٢/١، الوافي بالوفيات ١٥٥/٣ (ترجمة: ١١٦٨).
(٢) يراجع أخباره في: ديوان الجزار السرقسطي (روضة المحاسن وعمدة المحاسن)، تحقيق ودراسة: د/ منجد مصطفى بهجت، نشر: جدار للكتاب العالمي، وعالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م.
(٣) وصف ابن بسام شعره "بأنه كان متخلفا؛ لأن طبعه لا يَنبو عن الرّقيق السهل، ولا يلحقُ بالفصيحِ الجزل". يراجع الذخيرة ٨٢١/٢/٣، وذكره ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار ٣٣٦/١٤ (ترجمة: ٤٥٥).
(٤) يراجع ديوانه المجموع: ديوان ابن اللبانة الداني (مجموع شعره)، جمع وتحقيق: د/ محمد مجيد السعيد، دار النشر، الأردن، الطبعة الثانية: ٢٠٠٨م.
(٥) معجم السفر: للحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي (ت/ ٥٧٦هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٣م، رقم (١٢٥٣، ١٢٥٤).
(٦) مسالك الأبصار ٣٣٦/١٧.

المبحث الثاني: شعر ابن عبد الصمد:

ذكر غير واحد من المؤرخين – كما سبق – أنّ **أبا بحر يوسف بن عبد الصّمد** كان شاعرًا وكاتبًا، بل هو نفسه ذكر ذلك في شعره[١]، ولكن ما وقع بين أيدينا من المصادر لم نجد فيه سوى أشعاره التي جمعناها في المبحث الثالث من هذا البحث، فلم يذكر أحد من المؤرخين كتاباته النثرية.

أولا: موضوعات شعر ابن عبد الصمد: اشتهر بالرثاء في قصيدته التي رثا فيها **المعتمد بن عبّاد** في أغمات، والتي يقول في مطلعها:

ملـــكَ الملـــوكِ، أســـامعٌ فأنـــادِي أمْ قـــد عَـــدتكَ عَـــن السَّـــماع عَـــوادِ؟

لمّـــا خلَـــتْ منـــك القُصـــورُ فلـــم تكـــنْ فيهـــا كمـــا قـــد كُنـــت فـــي الأعيـــادِ

قبَّلْـــتُ فـــي هـــذا الثـــرى لـــك خاضِـــعًا وتَخِـــذْتُ قبـــرَكَ موضـــعَ الإنشـــاد

وهذه القصيدة تدل على حب شديد **للمعتمد بن عباد**، وقد أثر في نفسه وفاته، مما جعله "يبكي ويعفر وَجهه في تراب قبره، وبكى الملأ حوله حتى أخضلوا ملابسهم، وارتفع نشيجُهم وعويلُهم"[٢].

ونسب ابن الأثير في تاريخه[٣] الثلاثة أبيات السابقة خطأً **لأبي بكر بن اللُّبانة** وهو شاعر معاصر **لابن عبد الصمد**، والأصح أنهم لابن عبد الصمد من القصيدة المذكورة كما وردت في المصادر التي ترجمت له.

وقد غلب المدح على شعر **ابن عبد الصمد** ففي مقطوعة يمدح فيها **المعتمد بن عباد** ويصف يوم الجمعة، الذي بدد الله فيه شيعةَ **الطاغية أذفونش**:

خضـــعت لعزّتـــك الملـــوك الصّـــيدُ وعنـــتْ لـــك الأبطـــالُ وَهْـــي أســـودُ

رأيٌ يفـــلُّ الجـــيشَ وهـــو عرمـــرمٌ ويعفّـــر الجبـــارَ وهـــو عنيـــد

فـــاطعُنْ ولـــو أنّ الثريـــا ثَغْـــرَة واضـــرب ولـــو أن السّـــماكَ وريـــد

وافـــتح ولـــو أنّ الســـماءَ معاقـــلٌ واهـــزِمْ ولـــو أن النّجـــومَ جنـــود

(١) يقول في بعض قصائده: ((ذلَّ في ذا الزمان نثري ونظمي.. ذلةَ السيف في يمين الجبان)).
(٢) ينظر: أعمال الأعلام: ١٦٥-١٧٠، قلائد العقيان ١٠٧/١-١٠٨، نفح الطيب ٢٢٣/٤، ٢٥٩.
(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣٩٤/٨.

ويرى **ابن بسام** أن **ابن عبد الصمد** في هذه القصيدة "نظر إلى قول **مُختار بن النجار** من الطارئين على الجزيرة، وكان من غرائب الدهر أميًّا، لا يفهم ولا يقيم حرفًا سويًّا، أنشد **المعتمد بن عباد** من جملة قصيد فريد قال فيه"[١]:

ذلّـــت لعزتـــك الملـــوكُ الصـــيدُ يـــا مـــن إذا نقـــصَ الزمـــانُ يَزيـــدُ

وفتحـت بـابَ الغـربِ يـا ابْـنَ مُحمّـدٍ وبلغـــتَ أقصـــاهُ، فـــأين تريـــدُ

وبالرغم من ذلك ارتاح **المعتمد** لقصيدة **ابن عبد الصمد**؛ لفصاحة ألفاظها، وجمال أسلوبها، وبراعة نظمها، وكان رد **المعتمد** على قصيدة **ابن النجار** أن يعود إلى دياره، فقال له: "يا ابن الفاعلةِ، إلى بغداد"[٢].

وممن مدحهم **يوسف بن عبد الصمد** واتصل بهم **الوزير أبو بكر** وهو ابن الشاعر المعروف **بأبي الوليد بن زيدون**، يقول في قصيدة مطلعها:

زمـــانٌ يمنـــعُ الخيـــلَ الطِّـــرادا وســـيرٌ يحســـب النخـــل القتـــادا

وأيـــامٌ تُغَلِّـــبُ كـــلَّ ضـــد وتخلـــعُ فـــي رضَـــى النعـــل النجـــادا

ويمدحه من البيت التاسع، فيقول:

لـــك البشـــرُ الـــذي ســـلّى وســـرّى وأدركَ منتهـــــى أملـــــي وزادا

فـــإن خصّـــتك َبالحمـــد القـــوافِي فقـــد عمّـــتْ أياديـــكَ العِبـــادا

أجـــادَ نظامَهـــا قلمـــي وحلّـــى ولـــولا وصـــفُ مجـــدك مـــا أجـــادا

ويمضي الشاعر في مدحه، فيقول في ختام قصيدته:

أبـــا بكـــر تقـــولُ لـــيَ القـــوافي وجـــدتَ البحـــر فـــاطَّرحِ الثمـــادا

لـــك القلـــمُ أن خَـــطَّ ســـطرًا يـــودَّ المســـكُ لـــو كـــان المـــدادا

(١) الذخيرة ٣/٢/٨١٤-٨١٥.
(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

ومن مدائحه في **المعتمد بن عباد** يقول في مرثيته المشهورة:

مَـــن ذا يمـــدَّ علـــى العفـــاة ظِلالـــه ويبلّـــغ الآمـــالَ كُـــلَّ مُـــراد

مَـــن يبـــذل الآلاف للـــزوَّارِ والّـــ مُـــدّاحِ والقَصّـــادِ والـــرُّواد

هيهـــات مـــاتَ الجـــودُ بَعـــد محمـــدٍ وأصـــاب بـــزّ الفهـــم كـــلَّ كســـاد

ودَجـــا الزمـــان وأقحطـــت أيامُـــه بالجَـــدبُ مَوجـــودٌ بكـــلِّ مـــراد

وله في وصف الخمر وساقيها والشرب وليالي الأنس قصيدتان (٥، ٦). وله من قصيدة في مجلس يمدح فيها **المعتمد**، منها: [الكامل]

وأقـــبَّ تحملُـــه ريـــاحٌ أريـــعٌ لـــولا اللجـــامُ لطـــار فـــي الميـــدانِ

مـــن جملـــةِ العِقبـــان إلا أنّـــه مـــن حســـنِه فـــي طلعـــةِ الغـــزلان

يمشـــي إلـــى مَيدانـــه متبختـــرًا مـــن تيهـــه كتبختـــرِ النشـــوان

وعلـــوتُ أذنيـــه بـــأذنٍ ثالـــثٍ كـــالنّجم منقضّـــا علـــى شـــيطان

رمحٌ، ولكن هزّ من أعطافه فالخيـــلُ تنقـــرُ منـــه كالثعبـــان

وربما كان هناك بعض الوشاة ممن يحقدون عليه أو يعترضونه؛ لقربه من **المعتمد**، وأنه شاعره وكاتبه المقرّب، فنراه يقول في نفس القصيدة، وقد حضر المجلسَ **أبو بكر بن اللبانة**[١] (ت/ ٥٠٧هـ) و**أبو تمام الحجام**[٢] مُعرضّا بهما، وبغيرهما من شعراء عصره، فيقول:

والشـــعرُ بهجتـــه إذا نطقـــتْ بـــه بـــين المحافـــلِ ألســـنُ الأعيـــانِ

مـــا كـــان قـــولُ الشّـــعرِ إلا خطـــة كانـــت مراتبهـــا علـــى كيـــوان

حتـــى تـــدنّس ثوبهـــا بزعـــانف نشـــأتْ علـــى الأوضـــار[٣] والأدران

(١) أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني (ت/ ٥٠٧هـ)، ينظر: ديوان ابن اللبانة الداني (مجموع شعره)، جمع وتحقيق: د/ محمد مجيد السعيد، دار الراية – الأردن، الطبعة الثانية: ٢٠٠٨م.

(٢) أبو تمّام غالب الحجّام بن رباح، شاعر قلعة بني ربّاح، والتي سقطت في يد ألفونس السادس سنة ٤٧٦هـ، ينظر: مسالك الأبصار ١٧/٣٣٦-٣٣٧.

(٣) الوَضَرُ: الدَّرَنُ والدَّسَمُ. ابن سيده: الوَضَرُ وسَخُ الدسمِ واللبن وغُسالَةُ السِّقاء والقصعة ونحوهما، ويقال فلان ذو أوضار: خبيث.

مـــن صـــنعةِ القـــزاز والجـــزار أو مـــن صـــنعةِ الحجـــامِ واللبـــان

ويقول من قصيدة أخرى:

ســـأبقي حـــدَّ حسّـــادي كهامًـــا وأجعـــلُ نـــار أعـــدائي رَمـــادا

بـــذكرٍ يُخجـــلُ المســـكَ انتشـــاقًا وذهـــنٍ يحـــرقُ النـــار اتقـــادا

وله من قصيدة مديح طويلة ويهنئ فيها المعتمد بن عباد وجيشه، ووصف يوم الجمعة؛ اليوم الذي بدد الله فيه شيعةَ الطاغية أذفونش في معركة الزَّلَّاقَة، يقول في بدايتها:

خضـــعت لعزّتـــك الملـــوك الصّـــيدُ وعنـــتْ لـــك الأبطـــالُ وَهْـــي أســـودُ

رأيٌ يفـــلُّ الجـــيشَ وهـــو عرمـــرمٌ ويعفّـــر الجبـــارَ وهـــو عنيـــد

ومنها يصور هذا اليوم، وأنه يوم مشهود للعروبة وللمسلمين:

هيهـــات لا يمضـــي لحقـــك شـــاهدٌ يـــوم العروبـــة شـــاهد مشـــهود

يـــوم تواصـــلت الترائـــب والقنـــا فيـــه وعانقـــت الأســـود أســـود

وكان **ابنُ عبد الصمد** يتفاخر بشعره، فيقول:

لســـتُ بـــالألكنِ الـــذي يُـــبهِمُ القـــو لَ ولا بـــالمعجَّز المتـــواني

ولعمـــري لقـــد كشـــفت دجـــى الـــش كّ وأوضـــحتُ غامضـــات المعـــاني

ذلَّ فـــي ذا الزمـــان نثـــري ونظمـــي ذلـــة الســـيف فـــي يمـــين الجبـــان

ثانيا: شعر ابن عبد الصمد في الميزان النقدي: نلاحظ أن ما جمعناه من **شعر ابن عبد الصمد** يدل على سهولة في الألفاظ، وعدم التكلف، ونعرض في هذه الأسطر بعضا من خصائصه الشعرية في عدد من النقاط:

١. معارضته للشاعر العباسي أبي العلاء المعري[١] في قصيدته الدالية، التي يقول في بدايتها[٢]:

أرى العَنْقـــــاءَ تَكْبُـــــرُ أن تُصـــــادا فعانِـــدْ مَـــنْ تُطيـــقُ لـــهُ عِنـــادا

ومـــا نَهْنَهَـــتُ عـــن طَلَـــبٍ ولكِـــنْ هـــيَ الأيّـــامُ لا تُعْطـــي قِيـــادا

فقصيدة أبي العلاء المعري تتحدث عن الحكمة وخلاصة تجربة الشاعر في الحياة مع الفخر بنفسه، أما قصيدة ابن عبد الصمد؛ فهي قصيدة تتحدث في موضوعين مختلفين؛ افتتحها بالحكمة، ثم تناول فيها الموضوع الأساسي وهو المدح، فقد تناول في الأبيات (١-٨) شعر الحكمة، يقول في بدايتها:

زمـــانٌ يمنـــعُ الخيـــلَ الطِّـــرادا وســـيرٌ يحســـب النخـــل القتـــادا

وأيـــامٌ تُغَلِّـــبُ كـــلَّ ضـــد وتخلـــعُ فـــي رضَـــى النعـــل النجـــادا

ويتناول المدح في الأبيات التالية (٩-١٩) ويمدح فيها أبا بكر ابن الشاعر الأندلسي المعروف ابن زيدون، فيقول:

أبـــا بكـــر تقـــولُ لـــيَ القـــوافي وجـــدتَ البحـــر فـــاطْرحِ الثمـــادا

لـــك القلـــمُ الـــذي إنْ خَـــطَّ ســـطرًا يـــودَّ المســـكُ لـــو كـــان المـــدادا

فـــلا جلـــبَ الزمـــان إليـــكَ همـــا ولا منَعتْـــكَ حادثـــة رقـــادا

فـــإن النـــاسَ والأيـــامَ عـــينٌ وجـــدتك بـــين جفنيهـــا ســـوادا

ونلاحظ من خلال قراءة القصيدتين اتفاقهما في الوزن والقافية؛ فكلاهما على بحر الوافر، وقافية الدال، ولكنهما يختلفان في الموضوع؛ فموضوع قصيدة أبي العلاء هي الحكمة والفخر، وموضوع قصيدة ابن عبد الصمد هي الحكمة والمدح، واختلفتا في عدد الأبيات؛ فقصيدة أبي العلاء المعري طويلة (عدد أبياتها: ٦٠ بيتا) مما يدل على طول النفس في تناول ونظم شعر الحكمة والفخر بالذات "مما يعطي الشاعر حرية في

(١) هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري (٣٦٣هـ - ٤٤٩هـ)، شاعر عباسي.
(٢) يراجع القصيدة كاملة في: سقط الزند لأبي العلاء المعري، طبعة: دار بيروت، ودار صادر، لبنان، ١٩٥٧م، ص: ١٩٧-٢٠٢.

اختيار الألفاظ الضخمة والمعاني السامية"[١]، أما قصيدة ابن عبد الصمد فجاءت في ١٩ بيتا لأنها تتحدث عن المدح، وهي لا تقل في ألفاظها ونظمها وإجادتها في غرض المدح عن قصيدة المعري.

٢. حسن التخلص في شعره، نجد هذا اللون البديعي في قصائده المدحية؛ فمثلا في قصيدته التي يمتدح فيها أبا بكر ابن زيدون:

بـــذكرٍ يُخجـــلُ المســـكَ انتشـــاقا وذهـــنٍ يحـــرقُ النـــار اتقـــادا

وهنا يستخدم الشاعر أدواته في وسائل التخلص والربط بين أجزاء القصيدة وبخاصة المقدمة التي تحدث فيها عن الحكمة من الأبيات (١-٨) وعن الموضوع الأساسي وهو المدح ويتمثل في باقي النص الشعري في الأبيات من (٩-١٩)، فيتخلص الشاعر من غرض الحكمة إلى غرض المدح بالانتقال بينهما في حسن متلائم بين الطرفين، مما حرّك مشاعر نشاط السامع، وأعان على إصغائه إلى ما بعده"[٢]. ثم ينتقل الشاعر إلى المدح في البيت التالي، وهكذا حتى نهاية القصيدة:

لـــك البشـــرُ الـــذي ســـلّى وســـرّى وأدركَ منتهـــــــى أملـــــــي وزادا

وفي مرثيته في المعتمد بن عباد، وبعد (٨٣) بيتا يتخلص ابن عبد الصمد إلى مدح ابن المعتمد في قوله:

لـــولا أميـــر المســـلمين وفضْـــلَه لـــم تكتحِـــلْ أجفـــانكم برُقـــاد

والله يُبقِيـــــه لكـــــم لِيَصُـــــونَكم مـــن كـــلِّ حادِثَـــةٍ تُخـــاف فـــؤادي

أبقـــى علـــيكم سِـــترَهُ وأقـــالَكم قـــد يشـــفق الأمْجـــادُ للأمجـــاد

٣. **الصورة الشعرية في شعر ابن عبد الصمد:** لا تختلف الصورة الشعرية في تشكيلها عن صور الشعراء في المشرق، وهي كثيرة في شعره، فقد اهتم به اهتماما كبيرا، فمن هذه الصور يصف الطبيعة الخلابة الأندلسية وهو في مجلس أنس، يقول:

وحديقـــةٍ مخضـــرّةٍ أثوابُهـــا فـــي قضـــبها للطيـــر كـــلُّ مُغـــرّدِ

نادمـــتُ فيهـــا فتيـــة صـــفحاتهم مثـــلُ البُـــدورِ تنيـــرُ بـــين الأســـعد

(١) المعارضات في الشعر الأندلسي: دراسة نقدية موازنة، د/ يونس طُركي سلوم البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م، ص: ١٢٠.

(٢) يراجع بتصرف: الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م، ص: ٣٢٤.

والجـــدولُ الفضـــيّ يضـــحكُ مـــاؤهُ كالعقـــد بـــين مجمّـــع ومبـــدد

وترجرجـــت للنـــاظرين كأنّهـــا درٌّ نثيـــرٌ فـــي بســـاطِ زبرجـــد

فالتشبيهات في النص كثيرة؛ فنجده يصف الحديقة التي يجلس فيها مع ندمائه بأنها ترتدي ثوبا أخضرا، مع تغريد الطيور في كل مكان، ويصف الفتية بأنهم بدور منيرة بين كل سعيد في هذا المكان، ويشبه الجدول باللون الفضي الذي يضحك ماؤه في استعارة مكنية عابرة معبرة عن الفرحة العارمة التي تملأ المكان، وكأن الطبيعة تتضاحك معهم وتفرح لفرحهم، فالحركات والألوان في الصورة تعبر عن البهجة والسرور، مما تترك هذه الصورة أثرا في نفوس المتلقي " فأنس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيّ إلى جليّ، وتأتيها بصريح بعد مكنيّ، وأن تردها في الشيء تُعلّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم"[١]. وهنا تكتمل الصورة عند المتلقي والسامع.

وله من أخرى في المدح يبدأها بوصف الحسان الفاتنات بالشموس، فيقول:

أدلجـــوا بالشـــموسِ فـــي الأغصـــانِ وَمَشَـــوا بالحـــدوج فـــي الكثبـــانِ

حيـــث جـــالَ الوشـــاح واصـــطحب العقـــ ـــد مـــع المرهـــف الحســـام اليمـــاني

ومنها صورة الأباريق التي تسجد سُجودَ الرُّهبان للصّلبان، وذلك عند صبها الخمر في الكؤوس، فيقول:

لـــم تـــزلْ تســـجد الأبـــاريقُ للشّـــر بِ سُـــجودَ الرُّهبـــان للصّـــلبان

نتعـــاطى الكُـــؤوسَ والليـــلُ خفّـــا قُ الخـــوافي ممـــزّقُ الطّيلســـان

٤. الإحالة النصية داخل النص في "قصيدة ملك الملوك " لابن عبد الصمد:

الإحالة لها أهمية كبيرة في إبراز الاتساق للنص الشعري "فالعلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة: فالأسماء تحيل إلى المسميات"[٢]. "والعلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر علاقة) وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة)". والإحالة داخل النص تكون بين ضمير وكلمة، وتنقسم إلى: إحالة قبلية، وإحالة بعدية، وهذا ما نوضحه من خلال هذا النص الشعري، وذلك من خلال الضمائر التي

(١) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ص: ١٢١.

(٢) تحليل الخطاب: تأليف: ج. ب. براون، و ج. يول، ترجمة وتعليق: د/ محمد لطفي الزليطني، د/ منير التريكي، نشر جامعة الملك سعود، السعودية، ١٩٩٧م، ص: ٣٦.

برزت في هذا النص؛ سواء ضمائر الحضور أو ضمائر الغياب، كما أن أسماء الإشارة والأسماء الموصولة من الروابط والعناصر المحيلة كما في الضمائر.

أما عن الإحالة **القبلية**، فهي تعرف بأنها: "تعود على مفسّر سبق التلفّظ به، وفيها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيثُ يرد المُضمر"[١]. وهي الأكثر شيوعا في قصيدة ابن عبد الصمد، **أما الإحالة البعدية**، "فهي تعود على عُنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها"[٢]، والجدول التالي نعرض فيها بعض الأمثلة التي وردت في القصيدة:

رقم البيت	المحيل	المحيل إليه	نوع القرينة	نوع الإحالة
٢	منك، كنتَ، فيها	الممدوح، القصور	ضمير	قبلية
٣	قبلتُ، لك	الشاعر، الممدوح	ضمير	قبلية
٢٠	سقيتَ، رمحك	الممدوح	ضمير	قبلية
٢٢	حقده	الدهر	ضمير	قبلية
٢٣	بأيديها	معاقلك	ضمير	بعدية
٢٥	قالوا	أشخاص غير مذكورين	ضمير	بعدية
٢٩	أذهب، وجنوده، وأزال	الدهر	ضمير	قبلية
٣٤-٤١	يفتح، يعقد، يطعن، يضرب، يترك، يلبس، يقلد، يبذل	الممدوح	ضمير	قبلية
٤٤	ذلك	الإصلاح	اسم إشارة	بعدية
٤٥	الذي، فقدانه، قتل	القبر	اسم موصول، ضمير	قبلية
٥٤-٥٨	أنسها، جاورتها، قبرها، راحتْ، بعدها، إليها	أم الملوك في البيت (٥٨)	ضمير	بعدية
٦٠-٦١	تلك	السجايا، العطايا	اسم إشارة	بعدية
٧٤	أقمتني، رأيتَ، أسرفنَ	الممدوح، حوادث الأيام	ضمير	قبلية
93	تترك	موت	ضمير	قبلية
١٠٣	حبكم، جوانحي	أبناء الممدوح	ضمير	قبلية
١٠٥	رثيتُ، قضيتُ، حقوكم، والله يعلم	الشاعر. ولفظ الجلالة	ضمير	قبلية

(١) نسيج النص (بحث فيما يكون به النص نصًّا): الأزهر الزّنَّاد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٣م، ص: ١١٨.
(٢) يراجع: نسيج النص، المرجع السابق، ص: ١١٩، ونحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي): د/ أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م، ص: ١١٧.

من خلال الجدول السابق يتضح أن الإحالة القبلية هي الأكثر شيوعا في القصيدة وأمثلتها كثيرة بالنسبة للإحالة البعدية، وجاء دور الإحالة؛ سواء القبلية أو البعدية، في النص إلى إثارة ذهن القارئ، مع عدم تجنب التكرار، والاستمرارية، مع الترابط الذي تحدثه العناصر المحيلة بين الجمل، وبخاصة الضمائر داخل النص الشعري، والإحالة في هذا النص هي الحالة الشعورية التي عبر بها الشاعر باستخدامه الروابط المتعددة مما يشعر المتلقي بحالة الحزن الكبيرة التي خيمت على المكان وعلى الشاعر.

٥. **الأوزان والقوافي:**

عدد النصوص الشعرية التي جمعناها لابن عبد الصمد هي عشرة نصوص، وتشمل أربع مقطوعات أقلها بيتان[١] وهناك نصان الأول أربعة أبيات والثاني خمسة أبيات[٢]، وهناك ستة نصوص أكبرها مرثيته في المعتمد والتي يبلغ عدد أبياتها ١٠٥ بيتا[٣]، وأقلها عددا ١٢ بيتا[٤].

وفي الجدول التالي نوضح عدد البحور الشعرية التي نظم عليها، والقافية التي استخدمها، ومجموع أبياته:

م	القافية	رقم النص	البحر	عدد الأبيات
١	قافية الهمزة	١	الكامل	١٨
٢	قافية التاء	٢	الخفيف	٢
٣	قافية الدال	٣	الوافر	١٩
		٤	الكامل	٢١
		٥	الكامل	١٠٥
		٦	الكامل	٤
٤	قافية اللام	٧	المتقارب	٥
		٨	الطويل	٢
٥	قافية النون	٩	الخفيف	١٩
		١٠	الكامل	١٢
المجموع		١٠	-	٢٠٧ بيتا

نلاحظ من الجدول السابق استخدم ابن عبد الصمد بحور الشعر الخليلية التقليدية المعروفة، فكان أكثر البحور الشعرية استخداما هو بحر الكامل استخدمه في خمسة قصائد وهي بترتيب المجموع: (١، ٤، ٥، ٦، ١٠)، واستخدم بحر الخفيف في نصين من مجموع شعره: (٢، ٩)، واستخدم بحر الوافر في نص واحد من مجموع شعره: (٣)، وبحر المتقارب في نص واحد من مجموع شعره: (٧). واستخدم بحر الطويل في النص رقم (٨) واستخدم خمس حروف من حروف الهجاء في القافية.

(١) يراجع: مجموع شعره رقم (٢)، (٨)
(٢) يراجع: مجموع شعره رقم (٦، ٧).
(٣) يراجع: مجموع شعره رقم (٥).
(٤) يراجع: مجموع شعره رقم (١٠).

المبحث الثالث: مجموع شعر ابن عبد الصمد:

(١)

[قافية الهمزة]

وله من أخرى في يحيى بن فانو[١] بسجلماسة[٢]: [الكامل]

١. عــزمٌ تضــيق بجيشــهِ البيــداءُ ومُنًــى أقــلُّ مرامِهــا الجــوزاءُ

٢. وعرامــة[٣] لــو أنّهــا لــي لأمَــة لــم تَمْــضِ فيهــا الصَّــعْدَةَ السَّــمْرَاءُ

٣. فــي عِفّــةٍ لــو أصــبحتْ مقســومةً[٤] فــي النــاس لــم تتقنّــع[٥]الحَســناءُ

٤. فلــتلحظِ الغِــزْلانُ وَلْتتمايــلِ الــ أغصــانُ[٦] ولتتــرَنّحِ[٧] الأنقــاءُ

ومنها:

٥. وأحَــمَّ مســودّ القمــيصِ كأنّمَــا خلعــتْ عليــه ثيابهــا الظلمــاءُ

٦. وكأنّمــا خــاض الصــباح فأرضُــهُ مبيضّــة وســماؤُه دَهمــاءُ

٧. ســامي التليــلِ يــروقُ تحــت لجامــه فــرعٌ أحــمٌّ وغــرّةَ بلجــاءُ

٨. أطغيتَــهُ فمشــى العِرضْــنَةَ[٨] تأئهــا يَبــدو عليــه الكبــرُ والخــيلاءُ

٩. وخلغــتَ عنــه عنانــه فــي روضــةٍ شــطأ النبــاتُ بهــا وفــاض المــاءُ

---

(١) الذخيرة ٨١٦/٢/٣.
(٢) ينظر القصيدة كاملة في الذخيرة ٨١٦/٢/٣-٨١٧، والأبيات من ١-٤ في المغرب ٢٠٣/٢-٢٠٤.
(٣) المغرب: وصرامة.
(٤) الذخيرة: مسومة.
(٥) المغرب: تتلفّع.
(٦) المغرب: الأفنان.
(٧) الذخيرة: ولتترجرج.
(٨) العِرَضْنَةُ: الاعْتِراضُ فِي السَّيْرِ مِنَ النَّشاطِ. ينظر: لسان العرب، مادة (عرض).

١٠. مخضـــــرةَ زهـــــرت كواكـــــبُ فكأنّهـــا تحـــت الســـماء ســـماءُ نورِها

ومنها:

١١. وتطلعـــتْ زُهـــرُ النّجُـــوم كأنّمـــا نَثَـــرَتْ هنـــاك عقودَهـــا الحســـناءُ

١٢. بتنـــا نراعـــي الـــنجمَ إلا أنّـــه باتَـــت تراعينـــا مهـــاً وظبـــاءُ

١٣. دارتْ[١] كـــؤوسُ الطّـــلّ وانتشـــتِ الرّبـــى ومشَـــى القضـــيبُ وغنّـــتِ[٢] الوَرقـــاءُ

١٤. والقضْـــبُ تخضـــعُ للغـــدير كأنّـــه يحيـــى وقـــد خَضـــعتْ لـــه الأمـــراءُ

ومنها:

١٥. كثـــر القتيـــل عليـــه فـــي عِرّيســـهِ فبســـاطَهُ الأوصـــال والأشـــلاءُ

١٦. يمشـــي كَمـــا تمشـــي المهـــا مترفقًـــا ويصـــدَّهُ عـــن طرفـــه اســـتِحياءُ

١٧. حتـــى إذا مـــا توجّتـــه لبـــدة أو كللتـــه الغَفـــرَةَ الزبّـــاءُ

١٨. هـــدم الجبـــال بصـــدرِه فكأنّمـــا فـــي منكبيـــه الهضـــبة الشّـــماءُ

(٢)

[قافية التاء]

ومن ظريف شعره مما أنشدت له قوله[٣]: [الخفيف]

(١) هذا البيت وما بعده وردا في كتاب المغرب ٢٠٤/٢.
(٢) المغرب: وحنّت.
(٣) البيتان في الذخيرة ٨١٠/٢/٣، مسالك الأبصار ٣٣٦/١٧، نفح الطيب ٥٣٤/٣.

١. فوصلتُ أقطارًا لغير محبّةٍ[١] ومدحتُ أقوامًا بغير صِلاتِ

٢. أموالُ أشعارِي نَمتْ فتكاثرتْ فجَعلتُ مدحي للبخِيلِ زَكاتي[٢]

(٣)

[قافية الدال]

ولأبي بحر من أخرى في الوزير أبي بكر[٣] ابن زيدون[٤]: [الوافر]

١. زمانٌ يمنعُ الخيلَ الطِّرادا وسيرٌ يحسب النخل القتادا

٢. وأيامٌ تُغَلِّبُ كلَّ ضد وتخلعُ في رضَى النعل النجادا

٣. وقد جبن الشجاعُ فليس يدرِي أيرتبطَ الحمارَ أم الجوادا

٤. عليك الجدَّ في طَلَبِ المَعالي وليس عليكَ أن تُعطي القيادا

٥. فأسْنى المجد ما أدركتَ سعيًا وخيرُ السَّعي ما كان اجتهادا

٦. ولا يقنعكَ عيشٌ في خمول فغيرُ البازِ مَن صَادَ الجرادا

٧. سأبقي حدَّ حسّادي كهامًا وأجعلُ نار أعدائي رَمادا

٨. بذكرٍ يُخجلُ المسكَ انتشاقا وذهنٍ يحرقُ النار اتقادا

ومنها في المدح[٥]:

٩. لك البشرُ الذي سلّى وسرّى وأدركَ منتهى أملي وزادا

---

(١) نفح الطيب: أحبّةٍ.
(٢) رواية البيت في مسالك الأبصار: **أيقول: أشعاري نمت فتكاثرت .. فجعلتُ شعري للأنام ذكاتي.**
(٣) ابن أبي الوليد ابن الشاعر المعروف بابن زيدون الشاعر.
(٤) الأبيات في الذخيرة ٨١٢/٢/٣-٨١٣.
(٥) الأبيات في الذخيرة ٨١٣/٢/٣.

١٠. ومـــا أخشـــى عليـــكَ نفـــادَ لـــون ومـــن يخشـــى علـــى الشـــمسِ النّفـــادا

١١. تنزّهـــــك العـــــزائمُ أن تضـــــاهَى وتمنعـــــك المكـــــارمُ أن تســـــادا

١٢. فـــإن خصّـــتكَ بالحمـــد القـــوافِي فقـــد عمّـــتْ أياديـــكَ العِبـــادا

١٣. أجـــادَ نظامَهـــا قلمـــي وحلّـــى ولـــولا وصـــفُ مجـــدك مـــا أجـــادا

ومنها:

١٤. أبـــا بكـــر تقـــولُ لـــيَ القـــوافي وجـــدتَ البحـــر فـــاطّرحِ الثمـــادا

١٥. لـــك القلـــمُ الـــذي إنْ خَـــطَّ ســـطرًا يـــودَّ المســـكُ لـــو كـــان المـــدادا

١٦. ســـللتَ علـــى المهـــارقِ منـــه حـــدًّا فللـــتَ بـــه الصـــوارمَ والصـــعادا

١٧. فـــإن زَهَّـــدْتَ طيًّـــا فـــي حبيـــب فقـــد زهَّـــدتَ فـــي كعـــبٍ إيـــادا

١٨. فـــلا جلـــبَ الزمـــان إليـــكَ همـــا ولا منَعتْـــكَ حادثـــة رقـــادا

١٩. فـــإن النـــاسَ والأيـــامَ عـــينٌ وجـــدتك بـــين جفنيهـــا ســـوادا

(٤)

وله من أخرى في المعتمد بن عباد ويصف يوم الجمعة، الذي بدد الله فيه شيعةَ الطاغية أذفونش[١]: [الكامل]

١. خضـــعت لعزّتـــك الملـــوك الصّـــيدُ وعنـــتْ لـــك الأبطـــالُ وَهْـــي أســـودُ

٢. رأيٌ يفـــلُّ الجـــيشَ وهـــو عرمـــرمٌ ويعقّـــر الجبـــارَ وهـــو عنيـــد

٣. لـــم تـــرض والســـيوف تمـــائم والحـــرب ظئـــر والســـروج مهـــود

٤. ولقـــد شـــققت إلـــى الطعـــان ســـعيرها وحملـــت وطأتهـــا وأنـــت وليـــد

(١) وردت القصيدة كاملة في الذخيرة ٨١٤/٢/٣، ووردت الأبيات (١، ١٧، ١٨) في المغرب ٢٠٤/٢.

٥. ولكـــل نصـــر مـــن ظبـــاك مخيلـــة ولكـــل فخـــر مـــن قنـــاك عمـــود

ومنها:

٦. هيهـــات لا يمضـــي لحقـــك شـــاهدٌ يـــوم العروبـــة شـــاهد مشـــهود

٧. يـــوم تواصـــلت الترائـــب والقنـــا فيـــه وعانقـــت الأســـود أســـود

٨. والشـــمس مرهـــاء الجفـــون كليلـــة والجـــوُّ مغبـــر الـــذرى مســـدود

٩. والمرهفـــات مـــن النجيـــع كأنهـــا صـــفحاتُ بـــيض بينهـــا توريـــد

١٠. والخيـــل قـــد نكصـــت علـــى أعقابهـــا والـــروم زرع والـــرؤوس حصـــيد

١١. وكأنمـــا كانـــت هنـــاك كنـــائسٌ قـــد حـــان فيهـــا للصـــليب ســـجود

١٢. لـــو زلـــت زال الـــدين وانتهـــبَ الهـــدى ونبـــا اليقـــين ونـــافق التوحيـــد

١٣. لكـــن وقفـــت ومـــلء درعـــك للعـــدا درع يهـــد الراســـيات شـــديد

١٤. والوجـــه لا متغيـــر والـــرأي لا متبلّـــدُ والعـــزمُ لا مـــردّود

١٥. نالتـــك فـــي ذات الإلـــه شـــدائد تركـــت لـــك الأمـــلاكَ وهـــي عبيـــد

ومنها:

١٦. والملـــك لا يحميـــه إلا أروعٌ ثَبْـــتُ الجنـــانِ علـــى الجـــلاد جليـــد

١٧. فـــاطعُنْ ولـــو أنّ الثريـــا ثَغْـــرَة واضـــرب ولـــو أن السّـــماكَ وريـــد

١٨. وافـــتح ولـــو أنّ الســـماءَ معاقـــلٌ واهـــزِمْ ولـــو أن النّجـــومَ جنـــود

١٩. واطلـــب بملـــك الأرض حقـــا إنّـــه فـــرضٌ علـــى بـــيضِ السُّـــيوف وكيـــد

٢٠. وطَـــل ابـــن عبـــاد علـــى أملاكهـــا فقـــد ارتضـــاك الواحـــدُ المعبـــود

٢١. إن الرّياســـة والنفاســـة والعـــلا حـــرم تـــدافع دونهـــا وتـــذود

(٥)

وقال ابن الصَّيرفي: لما انفصل الناس من مُصلّى العيد الذي توفي المعتمد في شهره، حفّ بقبره ملأ من الناس يتوجعون له ويترحّمون عليه، وأقبل شاعره ابن عبد الصمد في جملتهم، وقد اتفق حضوره يومئذ لبعض شأنه، فوقف على قبره وأنشد[١]: [الكامل]

١. ملـــكَ الملـــوك، أســـامعٌ فأنـــادي أمْ قـــد عَـــدتْكَ عـــن السَّـــماع عَـــواد[٢]؟

٢. لمّـــا خلَـــتْ منـــك[٣] القُصـــورُ فلـــم تكـــــــــــــــــــــــــنْ فيهـــا كمـــا قـــد كُنـــتَ فـــي الأعيـــادِ

٣. قبَّلْـــتُ[٤]فـــي هـــذا الثـــرى لـــك خاضِـــــــــــــــــــــــــعًا وجعلـــتُ[٥]قبـــركَ موضـــعَ الإنشـــاد

ثُم خرَّ يبكي ويعفر وَجهه في تراب قبره، قال: فبكى ذلك الملأ حتى أخضلوا ملابسهم، وارتفع نشيجُهم وعويلُهم، ومنع النهار، فلله درّ ابن عبد الصمد، وملأ ذلك البلد. فقلت: وتمامُ رِثائه:

٤. قـــد كنـــتُ أحْسِـــبُ أن تُبـــدِّد أدمعـــــــــــــــــــــــــي[٦] نيـــرانُ حـــزنٍ أضـــرمت بفَـــؤادي

٥. فـــإذا بـــدمعي كلّمـــا أجريتُـــه زادتْ علـــيَّ حـــرارةَ الأكبـــاد

٦. فـــالعين فـــي التّســـكاب والتّهْتـــان أحشـــاء فـــي الإحـــراق والإيقـــاد[١]

(١) وردت الأبيات (١-١٠٥)، ما عدا البيت (٦)، في كتاب أعمال الأعلام: ١٦٥-١٧٠، والأبيات (١-١٥) في قلائد العقيان ١٠٧/١-١٠٨، والأبيات (١-٣) في الذخيرة ٥٨/١/٢، ووفيات الأعيان ٢٨٩/٤، وخريدة القصر (قسم شعراء المغرب والأندلس) ٥٣٨/٣، والإحاطة لابن الخطيب ٦٩/٢، والنفح ٢٢٣/٤، ٢٥٩، وشذرات الذهب ٩٧/٤، ونسبهم ابن الأثير في تاريخه لأبي بكر بن اللبانة ٥٠٥/٨. ونسب الدكتور منجد مصطفى بهجت القصيدة كاملة – مع زيادة بيتين – لابن اللبانة الأندلسي، يراجع كتابه: ديوان ابن اللبانة الأندلسي، طبعة الجامعة الإسلامية في ماليزيا الطبعة الأولى: ٢٠٠١م، ص: ٢٠١-٢٠٦.

(٢) القلائد: عوادي. والكامل: أم قد عداك في الجواب عوادي.

(٣) الذخيرة: لما نُقلتَ من.

(٤) الخريدة، والأعلام، وشذرات الذهب: أقبلت، والكامل في التاريخ: فمثلت.

(٥) القلائد والخريدة: وتَخِذتُ، وفي الأعلام: وتحدّث.

(٦) رواية شطر البيت في الأعلام: **(قد كنت أرجو أن تُبرّد أدمعي)**.

والـــــ

٧. يا أيها القمرُ المنيرُ، أهكذا — يُمحى ضياءُ النيّرِ الوقّاد

٨. أفقدْتَ عيني مُذ فقدتَ إنارة — فمجالُها[٢] في ظُلمة وسواد

٩. ما كان ظنّي قبل موتِكَ أن أرى[٣] — قبرا يضُمّ شوامِخَ الأطواد

١٠. الهَضْبة الشمّاءُ تحت ضريحه — والبحرُ ذو التيّار والأزباد

١١. عهدي بمُلكك[٤] وهْوَ طلقٌ ضاحِك — متهلّلُ الصفحات للقُصّاد

١٢. والمالُ ذو شملٍ مُذادٍ والندى — يَهمي وَشملُ المُلك[٥] غير مُذاد

١٣. أيام تخفِقُ حولك الرّايات[٦] فَوْ — قَ كتائبِ الرُّؤساء والأجناد

١٤. والأمرُ أمرُك، والزمانُ مُبشّر — بممالك قد أذعنت وبلاد

١٥. والخيل تَمرح والفوارِسُ تَنحَني[٧] — بين الصّوارم والقنا المَيّاد[٨]

١٦. إذ تحسب الهيجاء روضاً يانعاً — وترى الأزاهِرَ من ضياء صعاد

([١]) خلا كتاب أعمال الأعلام من هذا البيت.
([٢]) القلائد: حِجابها.
([٣]) القلائد: أزر.
([٤]) القلائد: بملك.
([٥])الأعلام: المجد.
([٦]) القلائد: الآيات.
([٧]) الأعلام: تنتجي.
([٨]) القلائد: المُنْآد.

١٧. وتخال عنبرها دخان النـدِّ قد فغم الأنوفَ وعام فوق النادي

١٨. وكأنّ بيضَ المرهفاتِ على الطّلى وُرْقُ الحمامِ على الغصونِ شَواد

١٩. ولكَم هززْت الغُصْنُ من طربٍ لها وجررت أذيالا من الأزراد

٢٠. وسقيت رُمحك ثمّ من ماء الطّلى ورَوى حُسامُك من بناتِ الهَاد

٢١. وكأنما في الدّرع منك ربيعة بن مُكْدم والحارث بن عبّاد

٢٢. حتى إذا ما الدهرُ أظهر حقدَه والدّهرُ للأحرارِ ذو أحقاد

٢٣. ألقتْ بأيديها معاقِلَكَ التي مُلِئَتْ من العُقبان والآسَاد

٢٤. وتهدّمَت أركانُ كلّ سياسةٍ وانهدّ حولَ المُلْك كلُّ عِماد

٢٥. قالوا أضاعَ الحزمَ وهْيَ بواطِلٌ نورُ الحقائِقِ للنواظِرِ باد

٢٦. وإذا انقَضتْ أيّامُ مُلكٍ فالعنا في غايةِ الإكثارِ والإعداد

٢٧. حازتْ بنو العبّاسِ مُلك أميّةٍ وهمُ ذوو الأعدادِ والأمداد

٢٨. ورأى مُعاويَة عَليًّا هالِكاً وعليّ الليثُ الهزَبْرُ العاد

٢٩. والدّهرُ أذهَبَ تُبّعاً وجنودَهُ وأزال مُلكَ الأرض عن شَدَّاد

منها[١]:

٣٠. إنّـــي لأعجـــبُ بعـــد فقـــدِك كيـــف لا تســـــتنكرُ الأســـــيافُ فـــــي الأغمـــــادِ

٣١. أو يخضـــب الخطـــيُّ بعـــدك ثغـــرَه أو يركـــــعُ الهنـــــديُّ فـــــوقَ الهـــــادي

٣٢. أو تلتقـــــي الشَّـــــجعان تحـــــت عجاجـــــــــــــــــــــــــةٍ أو يقتضـــــي المَيْـــــدانُ ســـــبْق جـــــواد

٣٣. قـــد كانـــت الأمـــداحُ يجعـــل دُرّهـــا فـــــي كـــــفّ أيّ مميّـــــزٍ نقّـــــاد

٣٤. مَـــنْ يفـــتحُ الأمصـــارَ بعـــدَ محمـــدٍ مَـــــن يعقـــــدُ الرّايـــــاتِ للقُـــــوّاد؟

٣٥. مَـــن يطعـــنُ الـــنّجلاءَ فـــي المـــرّاق أو مـــــن يَضـــــربُ الأخـــــدود فـــــي المـــــرّاد؟

٣٦. مَـــــن يتـــــرك الأســـــطار فـــــي الأوراقَ مـــــــــــــــــــــــــث ـــــل الحلـــــي فـــــي اللبَّـــــاتِ والأجيـــــاد؟

٣٧. مَـــن يفهـــم المَعنـــى الخفـــيّ ومـــن لـــ

٤١. مَن يبذل الآلاف للزوّارِ والـ   مُدّاحِ والقُصّادِ والرُّواد؟

٤٢. هيهات ماتَ الجودُ بَعد محمدٍ   وأصابَ بزِّ الفهم كلَّ كساد

٤٣. ودَجا الزمانُ وأقحطَتْ أيامُه   بالجَدبُ مَوجودٌ بكلِّ مراد

٤٤. مسحَ الزمانُ بأهلِه فتعوّضوا   من ذلك الإصلاحِ بالإفساد

٤٥. يا ساكنَ القبرِ الذي فقدانُه   قتلَ الرجاءَ وفتَّ في الأعْضَاد

٤٦. كُنّا نُؤمّل أن نرى لك عودةَ   تعطي بها الأيامُ كلَّ قِياد

٤٧. وتبيتُ خيلُك في مرابِطها على   وَعْدٍ من الإتهام والإنجاد

٤٨. وتُمهّد السلطانَ في الأقطارِ للـ   أصْهارِ والحُفَداء والأولاد

٤٩. فإذا المنايا قاطِعاتٌ بالمُنَى   والدّهرُ لا يُردي سِوَى الأجواد

٥٠. قد كان هزّ الرّمح عطفَيْ قدّه   وأبى الحسامُ العضبُ من غماد

٥١. وتصاهلت بِهِمُ الجيادُ إلى الوَغى   وتضاحَكَ الأنجادُ للأنجاد

٥٢. إذ حان حينُ العزِّ أدْرَكَكَ الردَى   فكأنّ مَوتَكَ كان بالمرصاد

٥٣. لو كنتُ إذا ساروا بنعشك حاضراً   لرأيتُ تهليلاً على الأعواد

٥٤. إني لأعجبُ من ضجيعتِك التي   قد كان قربك أنسها في الناد

٥٥. جاورتَهـــا فـــي قبرِهـــا فكأنّمـــا قـــد كُنتمـــا فـــي ذا علـــى ميعـــاد

٥٦. راحَـــتْ وأنقَلَـــكَ النَـــوى مـــن بعـــدها فمشـــيت إليهـــا فـــوق نعشـــك غـــاد

٥٧. جمَعتْكُمـــا أغمـــاتُ فـــي التُّـــرْب الـــذي وسّـــدتُما منـــه بـــأيّ وِســـاد

٥٨. أمَّ الملـــوكِ أمـــا عَلمـــتِ بزائـــرٍ لـــكِ ذي وفـــاءٍ مُخلـــصٍ ووداد

٥٩. أبكـــي العُلـــى والمجـــدَ فقْـــدَكُما الـــذي لَبِسَـــتْ لـــه الـــدّنيا ثيـــابَ حِـــداد

٦٠. لهفِـــي علـــى تلـــكَ الســـجَايا إنّهـــا زهـــرُ الرُّبـــا موشـــيَّة الأبْـــراد

٦١. لهفِـــي علـــى تلـــكَ العطَايـــا واللهـــا كـــم أخجلـــت مـــن واكِفـــات غَـــواد

٦٢. كـــمْ نعمـــةٍ خضـــراءَ قـــد ألبســـتَني ومَوَاهِـــب واليتَهـــا وأيَـــاد

٦٣. ناديـــتُ كفّـــك طاميـــاً مســـتمْطِراً فقَضـــى علـــيَّ نـــداكَ باسْـــتِعباد

٦٤. أخْجلْـــتَ فـــي الجـــود الـــذي دفقـــتَ حـــ تِـــمَ طـــيّءٍ وفضَـــحتَ كَعْـــب إيـــاد

٦٥. قـــد كنـــتُ لا أرْضـــى البحـــار منـــاهِلي زهـــواً ولا أرضـــى السّـــماكَ مِهـــادي

٦٦. فـــي دولـــةٍ غـــرّاء عبَّاديَّـــةٍ فلّـــت مـــن الأمـــلاكِ كـــلّ عِنـــاد

٦٧. ورياســـةٍ تحمـــي الـــبلادَ رئيسُـــها يَومـــاه يـــومُ نـــدًى ويـــوم جـــلاد

٦٨. والبـــدرُ يرْســـي، والثُّرَيَّـــا مَعْقِلـــي والصُّـــبحُ سَـــيفي، والرّيـــاحُ جِيـــادي

٦٩. أغرقتَنـــي فـــي بحـــرك الطـــامي منـــع الظمـــاء ورود كـــلّ ثمـــاد

الـــــــــــــــــــــــــذي	
٧٠. وســـللتَ فـــي نَصْـــري ســـيوفَ مكـــــــــــــــــــــــــارمٍ	ترَكـــت ســـيوفَ الهِنْـــدِ غيـــرَ جِـــداد
٧١. عـــــادت بحــــاراً إذ ســــقيت ضحاضِـــــــــــــــحِي	وغـــدت هِضـــاباً إذ رفعـــت وهـــادِي
٧٢. ومـــددتُ كفّـــي للكواكـــبِ قاعِـــداً	فبلغتهـــا لمـــا غـــدوت مَصـــادي
٧٣. نفّقتَنـــي والـــدَهرُ يـــبخسُ قيمَتـــي	وأنفـــتَ مـــن رَخْصـــي بـــهِ وكســـادي
٧٤. وأقمْتَنـــي لمـــا رأيـــتَ حـــوَادثَ الـــ	أيـــام قـــد أســـرفنَ فـــي إقعـــادي
٧٥. فـــالجفْنُ بعـــدَك لـــيس يـــدري مـــا الكـــــــــــــــرى	فـــي دمعـــةٍ مُنهلّـــةٍ وســـهاد
٧٦. وكـــأنّ قلبـــي فـــي مخالـــب طـــائرٍ	وكـــأنّ جنبـــي فـــوْقَ شـــوكِ قتـــاد
٧٧. إن لـــم تطـــبْ فيـــك المراثـــي والثنـــــــــــــــــــــا	منّـــي فلســـتُ بطيـــبِ المـــيلاد
٧٨. أو فَـــزتُ مـــن ذاك الجامـــل بنظـــــــــــــــرَةٍ	لجعلتُهـــا حتـــى القِيامـــة زادي
٧٩. إنّ الســـياداتِ التـــي قـــد حزتَهـــا	ترَكَتْـــكَ منفـــرداً بـــلا أنْـــداد
٨٠. ولـــئن مضـــيتَ فـــإنّ ذِكْـــرِك خالـــدٌ	يَبْقـــى مـــع الأيّـــامِ والآبـــاد
٨١. يـــا حاصـــبَ الفِقَـــر التـــي قـــد أصـــــــــــــــبحتْ	زَهْـــرَ الرّيـــاضِ بضـــفّتَيْ بَغْـــداد
٨٢. راقـــتْ وجـــوهُ الكُتـــب بالنكَـــت التـــــــــــــــي	منعـــت زنـــادك ثـــمّ مـــن إصـــلاد

٨٣. لمـــا فقـــدت المثـــل آثـــركَ الـــردى ومِـــــن الصـــــحيح تنـــــافرُ الأضـــــداد

٨٤. شُـــقّوا الثيـــاب وجـــدَّدُوا أحـــزانَكم وصـــلَوا التلهُّـــف يـــا بنـــي عَبّـــاد[1]

٨٥. كـــم رَدّ ريـــحَ الخطـــب عـــنكم ظِلّـــه وحمَـــاكُمُ مـــن مثـــلِ عاصِـــفِ عـــاد

٨٦. لـــولا أميـــر المســـلمين وفضْـــلُه لـــــم تكتحِـــــلْ أجفـــــانكم برُقـــــاد

٨٧. والله يُبقِيـــــه لكـــــم لِيَصُـــــونَكم مـــن كـــلِّ حادِثَـــةٍ تُخـــاف فـــؤادي

٨٨. أبقـــى علـــيكم سِـــترَهُ وأقـــالَكم قـــــد يشـــــفق الأمْجـــــادُ للأمجـــــاد

٨٩. كـــان ابـــنُ عبّـــادٍ صـــباحاً مســـفِراً لغياهِـــــــــب إن أظلَمـــــــــتْ ودآدِ

٩٠. كـــمْ بـــاتَ منـــه البحـــرُ تحـــتَ ســـــــــــــــــــــــــكينَةٍ والطَّـــودُ ذو الهَضـــباتِ فـــوقَ وســـاد

٩١. مـــا كـــان إلا الـــرّوض مَوْشِـــيْ الحلـــــــــــــــــــــــــى ســـقيت أزاهِـــره بصـــوْب عِهـــاد

٩٢. يهتـــزّ عنـــد الحمـــدِ مِعطفـــه كمـــا يهتـــــزّ عطـــــف الأملـــــدِ الميّـــــاد

٩٣. يـــا مـــوتُ لـــم تتـــرك حَنيفـــاً مُســـــــــــــــــــــــــلِماً صـــعب اللقـــاء علـــى ذوي الألحـــاد

٩٤. قـــد كـــان مـــن أعلـــى المُلـــوك رياسَـــــــــــــــــــــــــةً وفـــــؤادُه مـــــن أروَعِ الزّهّـــــاد

٩٥. يـــا مـــوتُ لـــم تشـــفق لغربتـــه ولـــم تـــــرَ مـــــا تخلّفـــــه مِـــــن الأولاد

٩٦. مـــــا ورَّثَ الأبنـــــاءَ إلا مَجـــــدَهُ إنّ العُلـــــى مِيـــــراثُ كُـــــلّ جَـــــواد

---

(١) بعد البيت (٨٤) بيت انفرد به الدكتور حمروش في كتابه "المعتمد بن عباد " ببيت من القصيدة لم نعثره عليه في المصادر التي بين أيدينا، وهو:

أفلَـــتْ لكُـــم شـــمسُ العُـــلا وتهـــدّمَ السّـــ ورُ المُنيـــفُ وجـــفّ بحـــرُ الصـــادِي

٩٧. كنّا نَفَدّي مَوته بنفُوسِنا لو كان يقبلُ فيه منّا الفادي

٩٨. يا موتُ كيفَ رأيت صَبْرَ محمدٍ قبل احتلالِك كان في استعدَاد

٩٩. كمْ رامَ في رجب لقاءَك جاهِداً والحظّ ليس ينال دونَ جِهاد

١٠٠. أهوى الشّهور سِواهُ فهو أَذلّني وأحبُّ أيّامي سِوى الآحاد

١٠١. صبراً جميلا يا بَنِيْه فرُبّما نالَ المُنى قومٌ بلا مِيعاد

١٠٢. إنّي نظمتُ لكم لآلِئَ قولةٍ عرضتْ على الأيّام صَفوَ ودادِ

١٠٣. ولقد تمازج حُبّكم بجوانِحي كتمَازُجِ الأرواحِ بالأجساد

١٠٤. فسقى انسِكابُ الغيْثِ قبْرَ أبيكُمُ من رائحٍ متدفقٍ أو غاد

١٠٥. ولقد رثَيْتُ وما قضيتُ حُقوقَكم واللهُ يعلمُ ما يُكِنّ فؤادي

يقول ابن خاقان معلقات على القصيدة: "وهي قصيدة أطال إنشادها، وبَنى بها اللّواعجَ وشادها، فانحشر الناس إليه وانحَفَلُوا، وبكوا ببكائه وأعْوَلوا، وأقاموا أكثر نهارهم مُطيفين به طواف الحجيج، مُديمين للبكاء والعجيج، ثم انصرفوا وقد نزفُوا ماء عيونهم، وأقرحوا مآقيهم بفيض شؤونهم، وهذه نهاية كلّ عيش، وغاية كل ملك وجيش، والأيام لا تدع حَيّا، ولا تألو كُل نشر طيّا، تطرق رزاياها كل سمع، وتُفرّق مناياها كل جمع، وتُصْمي كل ذي امر ونهي، وترمي كل مشيد بوَهْي، ومن قبله طوت النعمان ابن الشقيقة، ولوت مجازه في تلك الحقيقة"[١].

(٦)

[١] ينظر: قلائد العقيان ١٠٨/١، ونقله المقري في كتابه نفح الطيب ٢٢٤/٤.

وله من أخرى في مجلس أنس بروضة[١]:[الكامل]

١. وحديقـــــةٍ مخضـــــرّةٍ أثوابُهـــــا فـــي قضـــبها للطيـــر كـــلٌّ مُغـــرّدِ

٢. نادمـــتُ فيهـــا فتيـــة صـــفحاتهم مثـــلُ البُـــدورِ تنيـــرُ بـــين الأســـعد

٣. والجـــدولُ الفضـــيّ يضـــحكُ مـــاؤهُ كالعقـــد بـــين مجمّـــع ومبـــدد

٤. وترجرجـــت للنـــاظرين كأنّهـــا درٌّ نثيـــرٌ فـــي بســـاطِ زبرجـــد

(٧)

[قافية اللام]

يقول السلفي في معجمه: أنشدني أبو عمران موسى بن محمد بن خطاب الكندي السبتيّ بديار مصر، أنشدنا أبو بحر يوسف بن عبد الصمد الخولانيّ الأندلسيّ بسبتة لنفسه من قصيدة طويلة طائلة[٢]: [المتقارب]

١. لـــئِنْ مَطَلْتَنِـــي اللّيـــالِي بَوعـــدٍ فكـــمْ أمْسَـــكَ الغَيـــثَ ثَـــمَّ انهَمـــلْ

٢. وإنْ نِلـــتُ مـــن بَعْـــدِ لأيٍ مُـــرادًا فمـــا أحسَـــنَ الحَلْـــيَ بَعـــدَ العَطَـــلْ

٣. وقـــدْ يُمْكِـــنُ الوَصـــلُ بعـــدَ الصُّـــدُودِ وقـــد يُـــدرِكُ الأمـــنُ بعـــدَ الوَجَـــلْ

٤. وتَمـــرَضُ ثَـــمّ تصِـــحَّ الجُسُـــومُ وتَصْـــعُبُ ثَـــمَّ تَـــزُولُ العِلَـــلْ

٥. ولا بُـــدَّ للـــرِّيحِ مِـــن أنْ تَهُـــبَّ ولا بُـــدَّ للـــرَوضِ مـــن أنْ يُطَـــلْ

(٨)

وقال ابن عبد الصمد يصف فرساً[٣]: [الطويل]

إلـــى سَـــابحٍ فـــردٍ يفـــوتُ بـــأربَعٍ لـــه أربعـــاً منهـــا الصَّـــبا والشـــمائلُ

---

[١] الذخيرة ٨١٨/٢/٣.
[٢] معجم السفر للسلفي، رقم (١٢٥٣).
[٣] نفح الطيب ١٠٩/٤.

مـــن الفَـــتْخِ خـــوّار العنـــانِ كأنّـــه مـــع البـــرقِ ســـارٍ أو مَـــع الســـيلِ ســـائلُ

(٩)

[قافية النون]

له من قصيدة أولها[١]: [الخفيف]

١. أدلجـــــوا بالشـــــموسِ فـــــي الأغصـــــانِ وَمَشَـــــوا بالحـــــدوج فـــــي الكثبـــــانِ

٢. حيـــث جـــالَ الوشـــاح واصـــطحب العقـــ ـــد مـــع المرهـــف الحســـام اليمـــاني

٣. كلّمـــــا ســـــار ذو ســـــوار راع ليـــــثٌ غضـــــنفرٌ ذو ســـــنان

٤. يـــا لهـــا مـــن ضـــراغم وســـروج خالطتهـــــا هـــــوادج وغـــــوان

٥. كـــم قطعـــت الزمـــانَ والعـــيش غـــ ـــض فـــي ارتيـــاح مـــا بـــين تلـــكَ المغـــاني

٦. وإذا غَـــرَّد الحمـــامُ علـــى الأيْـــ ـــكِ وأصـــبت مرجّعـــاتُ القيـــان

٧. صلصـــلتْ حولهـــا الجيـــادُ وهـــزّتْ ذابـــــلاتٌ أعطافهـــــا للطعـــــان

٨. رُبّ ليـــلٍ قطعتُـــه فـــي ريـــاضٍ ونـــــدامى وقهـــــوةٍ ومثـــــاني

٩. ووجـــوهٍ مثـــلِ البـــدورِ تـــلالا وقـــــدودٍ كأنّهـــــا قضْـــــبُ بـــــان

١٠. فـــوق أطواقهـــا ســـنا صـــفحاتٍ مُعجمـــــاتِ الســـــطور بـــــالخيلان

١١. وعيـــونٍ مـــن نـــرجس وخـــدودٍ مـــن شـــقيق علـــى طـــلا سوســـان

(١) الذخيرة ٣/٢/٨١١-٨١٢، والبيتان (١٣-١٤) في مسالك الأبصار ١٧/٣٣٦.

١٢. فاجتنينـــــا زهـــــر الخـــــدودِ وقبضـــــنا أرواحَ تلـــــك الـــــدنان
غضيضًـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

١٣. لـــم تـــزلْ تســـجد الأبـــاريقُ للشّـــر بِ سُـــــجودَ الرُّهبـــــان للصّـــــلبان

١٤. نتعـــــاطى الكُـــــؤوسَ والليـــــلُ[١] قُ الخـــــوافي ممـــــزّقُ الطّيلســـــان[٢]
خفّـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

ومنها في المدح:

١٥. فثنـــــاءٌ يســـــير فـــــي كـــــلّ أفـــــقٍ ومـــــديحٌ يُتلـــــى بكـــــلِّ مكـــــانِ

١٦. يحمـــــلُ الســـــرجُ حـــــين يركـــــبُ كـــــاملا آمنًـــــا مـــــن النّقصـــــان
بـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــدرًا

ومنها:

١٧. لســـتُ بـــالألكنِ الـــذي يُـــبهِمُ القـــو لَ ولا بـــــــالمعجَّز المتـــــــواني

١٨. ولعمـــــري لقـــــد كشـــــفت دجـــــى ـــــكّ وأوضـــــحتُ غامضـــــات المعـــــاني
الشـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

١٩. ذلَّ فـــــي ذا الزمـــــان نثـــــري ذلـــــة الســـــيف فـــــي يمـــــين الجبـــــان
ونظمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــي

(١٠)

وله من أخرى في المعتمد يقول فيها في وصفِ طِرْفٍ[٣]: [الكامل]

١. وأقـــــبَّ تحملُـــــه ريـــــاحٌ أربـــــعٌ لـــــولا اللجـــــامُ لطـــــار فـــــي الميـــــدانِ

(١) المسالك: فالليل.
(٢) الذخيرة: الحوافي.
(٣) الذخيرة ٣/٢/٨١٣-٨١٤.

٢. مـــن جملـــةِ العِقبـــان إلا أنّـــه مـــن حســـنِه فـــي طلعـــةِ الغـــزلان

٣. يمشـــي إلـــى مَيدانـــه متبختـــرًا مـــن تيهـــه كتبختـــرِ النشـــوان

٤. وعلـــوتُ أذنيـــه بـــأذنٍ ثالـــثٍ كـــالنّجم منقضّـــا علـــى شـــيطان

٥. رمـــحٌ، ولكـــن هـــزَّ مـــن أعطافـــه فالخيـــلُ تنفـــرُ منـــه كالثعبـــان

٦. ومكلّـــل ممـــا انتضـــت يـــدُ قيصـــر وبلـــت ظبـــاه يـــدا أنـــو شـــروان

٧. عشـــقَ الطـــلا وبودّهـــا لـــو عوضـــت منـــه مكـــان الوصـــل بـــالهجران

٨. جَرَّدتـــه مِـــن غمـــده وهززْتَـــه فكأنمـــا جَـــرَّدْتَ غَـــرْبَ لســـان

ومنها، وقد حضر المجلسَ أبو بكر بن اللبانة وأبو تمام الحجام فقال معرضا بهما:

٩. والشـــعرُ بهجتـــه إذا نطقـــتْ بـــه بـــين المحافـــلِ ألســـنُ الأعيـــانِ

١٠. مـــا كـــان قـــولُ الشّـــعرِ إلا خطـــة كانـــت مراتبهـــا علـــى كيـــوان

١١. حتـــى تـــدنّس ثوبهـــا بزعـــانف نشـــأتْ علـــى الأوضـــار[1] والأدران

١٢. مـــن صـــنعةِ القـــزاز والجـــزار أو مـــن صـــنعةِ الحجـــامِ واللبـــان

(1) الوَضَرُ: الدَّرَنُ والدَّسَمُ. ابن سيده: الوَضَرُ وسَخُ الدسمِ واللبن وغُسالَةُ السِّقاء والقصعة ونحوهما، ويقال فلان ذو أوضار: خبيث.

الخاتمة، وأهم نتائج البحث:

بعد الانتهاء من جمع شعر أبي بحر يوسف بن عبد الصمد الأندلسي ودراسة حياته وشعره ومرثيته في المعتمد بن عباد، نرى أن التاريخ لم ينصف الشاعر؛ وذلك نظرا لقلة شعره كما هو الحال عند المُقلين من شعراء الأندلس، فلم نجد أحدا من الباحثين – على حد علمي – قام بجمع شعره أو دراسته.

إن مجموع شعر ابن عبد الصمد يمثل حقبة من الزمن في عصر المعتمد بن عباد الذي ملأ الكون بسيرته وشعره، ولم يربأ شاعرنا، وهو شاعره المفضل، أن يقوم بمدحه ومدح غيره ممن اتصل بهم داخل الأندلس أو خارجها، ولكن حبه للمعتمد جعل أكثر أمداحه في المعتمد بن عباد؛ حبا فيه وتقربا منه ومن عطاياه.

برع ابن عبد الصمد في المدح وأجاد في هذا الميدان، كما برع وتفوق في الرثاء، وتناول موضوعات الخمر ووصف الساقي ومجالس اللهو، والفخر، ووصف الطبيعة.

من خلال الدراسة النقدية لشعر ابن عبد الصمد لاحظنا التالي:

١. برع في معارضة المعري في قصيدته الدالية، وإن اختلفتا في الموضوع، لكن ابن عبد الصمد أجاد في قصيدته واستخدم لغته المدحية استخداما جيدا.
٢. نظرا لبراعة الشاعر في شعر المديح فقد لجأ إلى حسن التخلص، وهو لون من ألوان البديع، لينتقل مع المتلقي من موضوع إلى آخر، فيجذبه ويشد انباهه، ويثير عواطفه.
٣. اهتم بالصورة الشعرية اهتماما كبير في معظم قصائده، وإن كانت هناك صورا تقليدية فيها، إلا أنها جاءت معبرة عما يجيش في نفسه، وقد لجأ إليها في بعض الأحيان لبث الشكوى والهروب من الواقع.
٤. الإحالة النصية داخل النص في مرثيته للمعتمد بن عباد وهي "ملك الملوك" لها أهمية كبيرة في إبراز الاتساق للنص الشعري، فتعتمد على إثارة ذهن القارئ، مع عدم تجنب التكرار، والاستمرارية، مع الترابط الذي تحدثه العناصر المحلية بين الجمل، وبخاصة الضمائر داخل النص الشعري.
٥. استخدم الأوزان القليلة في شعره نظرا لقلة عدد النصوص التي جمعناها، مما أدى إلى قلة تنوع القافية مقارنة بشعراء عصره.

ثبت بالمصادر والمراجع:

١. الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: د/ يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م.
٢. أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية،
٣. أعمال الأعلام: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٥٦م.

٤. الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م.
٥. البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي، تحقيق: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى: ٢٠١٣م.
٦. تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين): د/ إحسان عباس، دار الشروق، الأردن، الطبعة الأولى: ١٩٩٧م.
٧. تاريخ الفكر الأندلسي: آنخل جنثالث بالنثيا، نقله عن الإسبانية: د/ حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
٨. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، تحقيق: د/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، 2012م.
٩. تحليل الخطاب: تأليف: ج. ب. براون، و ج. يول، ترجمة وتعليق: د/ محمد لطفي الزليطني، د/ منير التريكي، نشر جامعة الملك سعود، السعودية، ١٩٩٧م.
١٠. الحلة السيراء: ابن الأبار، تحقيق: د/ حسين مؤنس، نشر المركز العربي، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٦٣م.
١١. خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء المغرب والأندلس): العماد الأصفهاني، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد العروسي المطوي، والجيلاني بن الحاج يحيى، ومحمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م.
١٢. الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة: علي باشا مبارك، المطبعة الأميرية، مصر، الطبعة الأولى: ١٣٠٥هـ.
١٣. دولة الإسلام في الأندلس (العصر الثاني): محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة: ١٩٩٧م .
١٤. ديوان ابن اللبانة الأندلسي: د/ منجد مصطفى بهجت، طبعة الجامعة الإسلامية في ماليزيا الطبعة الأولى: ٢٠٠١م
١٥. ديوان ابن اللبانة الداني (مجموع شعره)، جمع وتحقيق: د/ محمد مجيد السعيد، دار النشر، الأردن، الطبعة الثانية: ٢٠٠٨م.
١٦. ديوان ابن اللبانة الداني (مجموع شعره)، جمع وتحقيق: د/ محمد مجيد السعيد، دار الراية – الأردن، الطبعة الثانية: ٢٠٠٨م.
١٧. ديوان الجزار السرقسطي (روضة المحاسن وعمدة المحاسن)، تحقيق ودراسة: د/ منجد مصطفى بهجت، نشر: جدار للكتاب العالمي، وعالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م.
١٨. الذخيرة في محاسن الجزيرة: ابن بسام الشنتريني، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م .
١٩. سقط الزند لأبي العلاء المعري، طبعة: دار بيروت، ودار صادر، لبنان، ١٩٥٧م.

٢٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: شهاب الدين عبد الحي ابن العماد الدمشقي، حققه وعلق عليه: محمود الأرناؤوط، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى: ١٩٨٩م.
٢١. قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: ابن خاقان، تحقيق: د/ حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى: ١٩٨٩م.
٢٢. لسان العرب: ابن منظور، طبع دار المعارف، القاهرة.
٢٣. مجاني الأدب في حدائق العرب: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٤م.
٢٤. مختارات من الشعر: جمعها وحققها: د/ نيكل، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٤٩م.
٢٥. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ابن فضل الله العمري، حققه: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠١٠م .
٢٦. المسالك والممالك: البكري الأندلسي، تحقيق: د/ جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م.
٢٧. المعارضات في الشعر الأندلسي: دراسة نقدية موازنة، د/ يونس طُركي سلوم البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م.
٢٨. المعتمد بن عباد في سنواته الأخيرة في الأسر: د/ عبد الدين حمروش، نشر وزارة الثقافة والفنون، قطر، ٢٠١٥م .
٢٩. معجم السفر: للحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي (ت/ ٥٧٦هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٣م.
٣٠. المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد المغربي، حققه وعلق عليه: د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٩٥م .
٣١. الموسوعة العربية العالمية (الشعر)، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، السعودية، الطبعة الثانية: ١٩٩٩م.
٣٢. نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي): د/ أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.
٣٣. نسيج النص (بحث فيما يكون به النص نصًّا): الأزهر الزّنَّاد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٣م.
٣٤. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار صاد، بيروت، ١٩٦٨م.
٣٥. الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي، تحقيق واعتناء: أحمد الأرنأووط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م.